

مجمع الأمثال

2852 - قَدَّ حَيْلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالذَّزَوَانِ .

أولُ من قَالَ ذلكَ صَخْرُ بن عمرو أخو الخَنْسَاءِ .

قَالَ ثعلبُ : غزا صخر بن عمرو بنى أسد بن جُزَيْمة فَاكْتَسَحَ إِبْلَهُمْ فجاءهم الصَّريخُ فركبوا فالتقوا بذات الأثل فطاعَنَ أبو ثَوْرٍ الأسدَ صَخْرًا طعنةً في جَنْبِهِ وأفلت الخيل فلم يُقْعَمْ مكانه وجَوَى منها فمرضَ حَوْلاً حتى ملَّه أهْلُهُ فسمع امرأَةٌ تقول لامرأته سَلِمَى : كيف بَعْلُكَ ؟ فَقَالَتْ : لا حَيٌّ فُيرْجَى ولا مَيِّتٌ فيُنْعى لقد لقينا منه الأمرين فَقَالَ صخرُ :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي .

وفي رواية أخرى : فمرضَ زمانا حتى ملَّته امرأته وكان يكرمها فمر بها رجلٌ وهي قائمة وكانت ذات خَلْقٍ وإدراكٍ فَقَالَ لها : يباعُ الكَفَلُ ؟ فَقَالَتْ : نعم عما قليل وكان ذلك يَسْمَعُهُ صخر فَقَالَ : أما وإِني لئن قَدَرْتُ لأَقْدِمَنَّكَ قبلى ثم قَالَ لها : ناوليني السيفَ أنظر إليه هل تُقِلُّهُ يدي فناولته فإذا هو لا يُقِلُّهُ فَقَالَ : أرى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي ... وَمَلَّاتِ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي [ص 97] .

فأي امرئٍ سَاوَى بَأَمٍّ حَلَايِلَةٍ ... فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَاً وَهَوَانِ .
أُهِمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أُسْتَطِيعَ ... وَقَدَّ حَيْلَ بَيْنَ الْعَيْرِ
وَالذَّزَوَانِ .

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جَنَازَةً ... عَلَايَكَ وَمَنْ يَغْتَرُّ
بِالْحَدِّ ثَانِ .

فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ كَانَتْهَا ... مُعَرَّسٌ يُعَسُّوبُ بِرَأْسِ سَنَانِ .
لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا ... وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ
أَذُنَانِ .

قَالَ أبو عبيدة : فلما طال به البلاء وقد نَتَتَّاتِ قطعة من جنبه مثل اللبد في موضع الطعنة قيل له : لو قطعناها لَرَجَوْنَا أَنْ تَبْرَأَ فَقَالَ : شَأْنُكُمْ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ قومٌ فَذَهَبُوا فَأَخَذُوا شَفْرَةً فَطَعَوْا ذلكَ الموضعَ فيئسَ من نفسه وقال :
أَجَارَ تَنَانًا إِنَّ الْحُتُوفَ تَنْزُوبٌ ... عَلَى الذَّاسِ كُلِّ الْمُخْطِئِينَ تُصْرِبُ .
أَجَارَ تَنَانًا إِنَّ نَسْأَلَ لِيَنِي فَإِنِّي ... مُقِيمٌ لَعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسْرِبُ .

كَأَنِّي وَقَدْ أَدُّنُوا لِحِزِّ شِفَارِهِمْ ... مِنَ الصَّبْرِ دَامِي الصَّفْحَتَيْنِ
نَكِيْبُ .

ثم مات فدفن إلى جنب عَسِيْب وهو جَبَلْ يقرب من المدينة وقبره معلم هناك